الدلالة الزمنية للفعل في سورة المائدة

د. عبد القادر شارف - جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف-

ملخص المقال باللغة العربية

يعتبر الفعل عنصراً أساسياً في بناء الجملة في اللغة العربية، ولبيان أهميته في المعاني ينبغي التدقيق في الصيغ والتفريق بينها على أساس المعنى، فلكل معنى صيغة تبينه وتحدده وتفصله عن غيره، فدلالة الفعل تختلف عن غيره كالمصدر واسمه والصفة وهكذا. وسنهتم في هذا المقال بدلالته الزمنية في سورة المائدة انطلاقا من البناء المجرد والمزيد.

الكلمات المفتاحية

القرآن الكريم - سورة المائدة - الفعل – بناء- الدلالة الجملة- الزمنية – اللغة.

The verb is the essential element in the syntax of the Arabic language and its importance in the sense should check the formulas and differentiate on the basis of meaning, each meaning a formula identified, defined and separated from each other this means that the verb is different from others as the source and the name and character and so on. We'll take care of this article one time in the poems of Sura el maida, construction and abstract.

Keywords

Quran - Sura el m’aida - act - structure - semantics - the time - the language.

تعد اللغة هبةً من الله عز وجلّ لبني البشر، بها يتواصلون وبها يعبّرون عن لبنات أفكارهم وخلجات صدورهم، ومن حكمه سبحانه أن جعل اللغة تتّسع لشتّى المقامات والمقالات وتحتمل مختلف المعاني والدّلالات لتساير طبائع النّاس واختلاف نفسيّاتهم وتوجّهاتهم الفكريّة، والسّرّ في ذلك كامنٌ في تركيبها من أصغر وحدةٍ فيها وهي الصّوت مرورًا بالكلمات ووصولاً إلى أطول تركيبٍ جمليٍّ، وكذا دلالاتها الّتي تتحدّد وفقًا للسّياق؛ هذه التّنوعات تجتمع لتشكّل الأساليب المتباينة تمامًا مثل البصمات تتشابه قالبًا لكنّها لا تتطابق أبدًا.

وقد باتت كل أمة من الأمم تحافظ وتعتني بلغتها وتدافع عنها حتى تكون اللغة السائدة في العالم، فكانت لغة الضاد من بين اللغات السامية التي ظلَّ العرب يفتخرون ويعتزون بها، وهذا ما جعل علماءها يضعون أسسا وقواعد لضبط كلامهم حتى لا يكون عشوائيًا، فوضعوا علم الصرف بمباحثه المختلفة والدقيقة، فكان لنا أن نختار الأفعال التي تعد أكثر تعقيدا لكثرة تغييرها.

والفعل لغة كناية من كل فعل متعَدٍ أو غير متعَدٍ، يقال: فَعَله يَفعله فعلا مصدر فَعَلَ يَفعَلُ، وفعل الاسم المكسور، والمصدر مفتوح والجمع الفَعال، والفَعال بالفتح: الكرم أي مصدر اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه، يقال: فلان كريم الِفعال لئيم الِفعال، والفَعال بين المدح والذم وهو مخلص لفاعل واحد، فإذا كان من فاعلين فهو فِعال، والفعلة غالبة على عملة الحفر والطين، والفِعال الفأس القادوم والمطرقة، والفعلة العادة السيئة والفعل كناية عن حياء الناقة وغيرها من الإناث [1].

والفعل عنصر أساسي من بين العناصر التي تعمل على بناء الجملة في اللغة العربية، وهو ما أطلق عليه النحاة اِسم المسند إليه، إذ يمثل طرفاً إسنادا في الكلام، فهو العمل الذي يقوم به صاحبه، ولابدَّ أن يتم هذا الحدث في فترة زمنية

معينة، ولهذا يعد مادة لغوية مهمة تدل على حدث يجري على أزمنة مختلفة، وذلك لأنَّ الأساليب اللغوية تختص بالتعبير عن الأحداث التي تمت، والتي لم تتم بعد بواسطة الأفعال المقيدة بالزمن، إذ إنَّ الفعل هو " أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع " [2].

ونفهم من كلام سيبويه(ت 180هـ) أنَّ الزمن ينقسم إلى ثلاثة أقسام، زمن ما مضى وهو الزمن الماضي، وما يكون ولم يقع وهو الزمن المستقبل، وما هو كائن لم ينقطع وهو الزمن الحاضر، وباختلاف الأزمنة تختلف أبنية الأفعال "فأمَّا بناء ما مضى فذهَبَ وسَمِعَ ومَكُثَ وحُمِدَ، وأما بناء ما لم يقع فإنَّه قولك آمراً: اذهب، واقتل، واضرب، ومخبراً يَقْتُلُ، ويذهبُ، ويَضْرِبُ، ويُقْتَل، ويُضْرَب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرتَ"[3].

ويؤكد سيبويه رأيه السابق في كون الزمن من اختصاص الفعل مشيراً إلى أنَّ هذا الأخير "يتعدى إلى الزمن نحو قولك: ذهب لأنَّه بنى لما مضى منه وما لم يمض، فإذا قال ذهب فهو دليل على أنَّ الحدث فيما مضى من الزمان، وإذا قال سيذهب فإنَّه دليل على أنَّه يكون فيما يستقبل من الزمان ففيه بيان ما مضى وما لم يمض منه"[4].

فالنحاة قسَّموا الفعل على أساس تقسيم الزمن الفلسفي، وهو الماضي والحاضر والمستقبل، وخصوا كل زمن بصيغة معينة، هو معناها في حالة الإفراد والتساوق على السواء"[5].

وقد انتقد بعض الباحثين المعاصرين النحاة لتركيزهم على الزمن في صيغة الفعل، وإهمال السياق الذي وردت فيه، فيرى فاضل الساقي: "أنه كان على النحاة أن يدركوا أن الأفعال مجرد صيغ وألفاظ تدل على زمن ما، هو جزء من معنى الصيغة لا على زمن معين، وأن السياق أو الظروف القولية بقرائنها اللفظية

والحالية هي وحدها التي تعين الدلالة الزمنية وترشحها لزمن بعينه"[6]، وعليه فقد قسَّم هؤلاء الباحثون الزمن إلى نوعين هما[7]:

أولاً: الزمن الصرفي وهو الزمن الذي تدل عليه الصيغة المفردة خارج السياق.

ثانياً: الزمن النحوي، أو ما يسمى (الزمن السياقي التركيبي)، وهو الذي تُحَدِّده القرينة اللفظية أو الحالية، أي: هو معنى الفعل في السياق.

وللمقارنة بين الزمن النحوي والزمن الصرفي يمكن القول: إنَّ مجال النظر إلى الزمن النحوي هو السياق وليس الصيغة المفردة، وبناء الجملة العربية أخصب مجال لهذا النظر بينما لا يكون مجال النظر في الزمن الصرفي إلا الصيغة منفردة خارج السياق[8]، ويرى مالك المطلبي في هذا المنحى أنَّ الصيغ في اللغة العربية " تخلو من الدلالة على زمن في المستوى الصرفي"[9]، وأنَّ وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيبي واحد يعني تفريغ صيغة ما دون غيرها من الزمن حيث تشير إلى وجه من وجوه دلالتها الحدثية، ومن هنا يكون من الخطأ إسناد الزمن إلى مثل هذه الصيغ بوصفها "شكلاً زمنياً"؛ لأن الزمن " يكتسب من قرائن السياق اللفظية والمعنوية"[10]، وعليه فإنَّ دلالة السياق على الزمن النحوي لا تنفصل عن الدلالة المفردة للصيغة الصرفية، فهما متعالقتان، وأنَّ الصيغة الصرفية لا تخلو من دلالة زمنية، غير أن السياق يضفي دلالة إضافية للدلالة الصرفية المفردة يحددها السياق نفسه، فيُجمع بين الدلالتين، ولا تلغي إحدى الدلالتين الأخرى، أو تفرغها من محتواها.

وسنهتم في مداخلتنا بالتركيب الإفرادي للفعل ودلالته في القرآن الكريم، مستشهدين بسورة المائدة، وقبل أن نعرج إلى دراسة الفعل في هذه السورة الكريمة وجب علينا التعريف بها.

وسميت سورة المائدة لورود ذكر المائدة فيها حيث طلب الحواريون من عيسى

عليه السلام آية تدلُّ على صدق نبوءته وتكون لهم عبدا، وقصتها أعجب ما ذكر فيها لاشتمالها على آيات كثيرة ولطف عظيم من الله[11]، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الحَوَارِيُونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبكَ أن ينزل علينا مائدةً من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مُومِنِين ﴾ [12]، وتسمّى أيضًا سورة العقود، إذ وقع هذا اللفظ في أوّلها، وتسمّى كذلك المنقذة، ففي أحكام ابن الفَرَس: روي عن النّبي – صلى الله عليه وسلم- قال (سورة المائدة تدعى في ملكوت السّماوات المنقذة). قال: أي أنّها تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب"[13].

وسورة المائدة من السّور الطوال[14]، "وهي مدنيّةٌ باتّفاق نزلت بعد الهجرة ، وعن سبب نزولها فإن المشركين كانوا يحجون البيت ويقدمون الهدايا ويعظمون الشعائر، فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم[15] فنزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لاَ تُحِلُوا شَعَائِرَ اللهِ﴾[16] ، وقد تناولت السورة كسائر السور المدنية جانب التشريع بتوسع كنظيرتيها البقرة، والنساء إلى جانب موضوع العقيدة، وقصص أهل الكتاب، وعن عدد آياتها فهو مائة وعشرون آية.

والمتأمل لسورة المائدة يرى أنَّ الأفعال فيها تسير وفق حركة منتظمة، فهي تجري بين الماضي والمضارع والمستقبل، فالفعل الماضي يجب أن لا يستعمل في غير الماضي إذا التزمنا بتقسيم النحاة، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَذينَ آمَنُوا لاَ تُحِلوُا شَعَائِرَ اللهِ وَلاَ الشَهْرَ الحَرَامِ وَلاَ الهَدْيَ وَلاَ القَلاَئِدَ وَلا اِلبَيْتَ الحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمِ فَاصْطَادُوا﴾ [17]، فالفعلين (حلَلَ، واصطاد)، يدلان على الماضي المطلق كلية، بيد أنَّ الثاني هو فعل أمر إباحة يدل على الاستمرار في إنجاز فعل لم يقع ولم يحدث من قبل ممَّا يفي دلالته على ما يستقبل من الزمن بالنسبة لزمن التلفظ به.

وقد يخرج الفعل إلى دلالات أخرى نذكر منها:

1- الدلالة على حالة سيكولوجية، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَئِسَ الذين كَفَرُوا من دينكم ﴾[18]، ويقول أيضا: ﴿ وَمَنْ يَكْفر بالإيمان فقد حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾[19].

2- الدلالة على حالة فيزيولوجية، ومنه قوله: ﴿ وَاذكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم وَمِيثَاقَهُ الذين وَاثَقَكُم بِهِ إذ قُلتُم سَمِعْنَا وَأَطَعنَا واتقوا الله إن الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُدُور ﴾[20].

3- الدلالة علة حالة بيولوجية: ومنه قوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم﴾[21].

4- الدلالة على الاعتداء، ومنه قوله تعالى: ﴿ إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِين ﴾[22].

5- الدلالة على الجعل، ومنه قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البيت الحرام قِيَامَا للنَّاسِ﴾[23].

- الدلالة على الأخذ والبعث، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَد أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بين إِسْرَائِيلَ وبعثنا منكم اثنى عشَرَ نَقِيبًا ﴾[24].

وقد نجد واقع الفعل الماضي يخالف حركته في الاستعمال، لأنَّ دلالة الصيغة فيه إحدى الدلالات الكثيرة التي يشير إليها، فهو يشير في بعض استعماله إلى الحدث في زمن المتكلم، ومن هنا نراه يخرج عن الإقبال كلية، وينسى زمنه جملة إلى أن يصير صورة مفرغة من معناها الحقيقي، ومن مضمونها الأصلي، ويفقد نكهته وهويته لوقوعه في أغراض جديدة مخالفة لطلب الإقبال.

ومجيء الأفعال في السياق القرآني كثيراً ما يخرج عن النمط المألوف للغة من حيث التصرف في أزمنة الفعل، وذلك كالتعبير عن الحدث الماضي بالمضارع والتعبير عن الحدث المستقبل بالزمن الماضي، وكثيراً ما نجد السياق القرآني لا يجري على نمط واحد في المطابقة الزمنية بين الأفعال، إذ يحصل تصرف في

التحول الداخلي للسياق نفسه بالمخالفة في أزمنة الأفعال، كأن يرد في السياق ذكر الفعل المضارع ثم ينكسر النسق السياقي بمجيء الفعل الماضي في السياق نفسه أو العكس، مما يثير التساؤل عن معرفة سبب ذلك التحول ودلالته التعبيرية في السياق القرآني، وهذا التحول "يكشف عن تصادم الأزمنة على مستوى البنية السطحية مما يدفع المتلقي إلى الانتباه والتفاعل مع النص، ومحاولة إعادة التوافق بين صيغ الأفعال وأزمنتها في البنية العميقة"[25].

فالبنية العميقة تستوجب المطابقة في أزمنة الفعل في السياق اللغوي، والتحول عنها إلى البنية السطحية التي برزت على سطح النص تستدعي تحولاً في المعنى يرافق هذا التحول في المبنى، وقد توقف علماؤنا عند هذا النوع من التحول وعدّوه ضرباً من البلاغة، يقول ابن الأثير (ت636هـ): "واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن التحول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك، وهو لا توخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطّلع على أسرارها، يوفتّش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً"[26].

ونحن في تناولنا لهذا التحوُّل في صيغ الأفعال، لا نتناولها من الناحية الصرفية، وإنَّما نتناولها من حيث دلالة الزمن النحوي الذي وردت فيه في السياق، إذ أنَّ تناول هذه الصيغ مفردة خارج السياق اللغوي يعد تناولاً صرفياً، وتناولها في السياق الواردة فيه من حيث الدلالة الزمنية يعد تناولاً نحوياً سياقياً، ومن أمثلتها التحوُّل عن الفعل الماضي إلى المضارع، ومجيء المضارع بعد الماضي، وفي هذا الضرب من التحوُّل يكون على نوعين[27]: نوع يستعمل فيه المضارع للدلالة على حدث قد مضى وانقضى، ونوع آخر يستعمل فيه المضارع للدلالة على حدث يقع في الحال والاستقبال.

أما النوع الأول: فمجيء المضارع فيه للدلالة على حدث قد مضى، وقد قرر علماء البلاغة أنَّ المضارع في هذه الحالة يقصد به استحضار الصورة للحدث الماضي، وكأنَّه أمر مشاهد بارز للعيان، يقول ابن الأثير: "واعلم أنَّ الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأنَّ الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي"[28]، وهذا ما أطلق عليه الزمخشري(ت538هـ) مصطلح "حكاية الحال"، فمن ذلك مثلاً: الفعل "أتى" في قوله تعالى: ﴿ **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجِعُكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**﴾[29].

يدلُّ الفعل (**أتى**) بصيغته الصرفية على الماضي المطلق في زمن مضى وانقضى، إلا أنَّ وروده في السياق يفرض عليه دلالة سياقية يقتضيها السياق ويدل عليها وهي دلالة الاستقبال؛ لأنَّ القرينة اللفظية "فينبئكم" في السياق النحوي التركيبي تشير إشارة واضحة جلية إلى أنه لما يقع بعد، ومع كونه فعلاً ماضياً في الصيغة الصرفية، فإننا لا نفرغ هذه الصيغة الصرفية من دلالتها الزمنية ولا نخضعها للدلالة السياقية فقط، إذ لو كان ذلك هو المراد لجاءت الصيغة صريحة بقوله: "فيما يأتيكم"، ومع ذلك لا نقف عند حدود الدلالة الصرفية اللفظية لنقول: بأنه فعل ماضٍ قد وقع وحصل؛ فالقرينة السياقية تمنع ذلك وهي قوله: "فينبئكم"، وإنما نجمع بين الدلالتين الصرفية والنحوية، الإفرادية والتركيبية، لنقول: إن المراد هو توظيف الصيغة في معنى الاستقبال متضمنة معنى المضي وموظفة له في الوقت نفسه، فكأن مقصود الآية أن تقول: سيأتي أمر الله لا محالة مجيئاً مقطوعاً به، بل هو في حكم ما وقع وأتى بالفعل.

والسياق في هذا المثل هو الذي أضفى على الفعل المضارع "**فينبئكم**" في هذه

الحالة دلالة زمنية معينة، وذلك من عطف الفعل المضارع على الفعل الماضي، إذ يقتضي السياق بموجب المطابقة الزمنية أن تجري الأفعال الواردة فيه على نسق واحد، يقول السيوطي(ت 911هـ): "وما عطف على حال أو مستقبل أو ماضٍ أو عطف عليه ذلك فهو مثله؛ لاشتراط اتحاد الزمان في الفعلين المتعاطفين"[30].

فمجيء الفعل المضارع في الحالة هذه خارجاً عن النسق العام للسياق يؤدي إلى توليد دلالتين بارزتين في السياق، دلالة نحوية متمثلة في الفعل المضارع الدال على الزمن الحاضر أو الاستقبال، ودلالة سياقية متمثلة في الإشارة إلى الزمن الماضي، فالدلالة السياقية تقتضي مضيه والدلالة النحوية للصيغة تقتضي استحضاره، فيجمع بين الدلالتين ليقال: إنه الماضي الحاضر، أو بعبارة (فندريس) هو "المضارع التاريخي"، وذلك "استعمال شائع في الحكاية حيث يسمى بالحاضر التاريخي، وفيه يجد المثقفون سحراً خاصاً، يقولون بأن الحاضر أكثر تعبيراً أو أبلغ حتى ليجعل المنظر يحيا من جديد أمام عيني القارئ، ويرجع بفكرنا إلى اللحظة التي دار فيها الحديث"[31].

ومن أمثلة هذا المضارع التاريخي ما جاء في حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على أبي رافع اليهودي حصنه، قال: فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم لا أدري أنى هو من البيت، فقلت: أبا رافع، فقال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش"[32].

ففي هذا النص نجد أن الفعل المضارع (أضرب) يدل في معناه على حدث مضى وانقضى، بدلالة السياق على ذلك، إذ كل أحداثه ماضية (فانتهيت .. فقلت .. فأهويت ..)، وكان حق الفعل (أضرب) أن يرد ماضياً فيكون (فأهويت نحو الصوت فضربته وأنا دهش) لكنه تحول عن الماضي إلى المضارع؛ لاستحضار الحدث وكأنه مشاهد للعيان؛ لأن الموقف موقف تعجب ودهشة.

ومن أمثلته في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ **قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوري سَوْءَةَ أخي فأصبح من النادمين**﴾ (33).

إنَّ السياق الزمني للآية يسير على جهة الإخبار بالماضي (**قال، أعجزت**)، والله سبحانه وتعالى في هذا الموقف يريد أن يخبر على سبيل السرد والحكاية عن واقعة مدهشة حصلت لقابيل، فأتى بنداء الاستغاثة (**يا ويلتي**) ليشد انتباه السامعين لسماع السرد والحكاية، ثم يثير الرعب والخوف بذكر اسم "**الغراب**"، وأنه لقاه بمكان خلاء لا ملجأ فيه ولا احتماء، ثم بعد السرد بصيغة الماضي تحول إلى الفعل المضارع لحظة المواجهة الحاسمة مع القيام بفعل الغراب بعدما صار نادما، فقال: " **أن أكون** "، وقد عدَّ السكاكي(- 626هـ) هذا النوع من التحول أصلاً بلاغياً ثابتاً إذا اقتضى السياق اللجوء إليه، فقال: "وإنَّه -أي الانتقال من التعبير بالماضي إلى المضارع- طريق للبلغاء لا يتحولون عنه، إذا اقتضى المقام سلوكه"(34).

ويرد هذا النوع من التحوُّل بكثرة في الكتاب العزيز، ويعدُّ من روائع البيان فيه، إذ عمد القرآن الكريم إلى صورة مغرقة في القدم فاستدعاها من الماضي السحيق إلى الزمن الحاضر؛ لتصبح كأنَّها مشاهدة ماثلة للعيان، من ذلك قوله تعالى مخاطباً اليهود: ﴿ **كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ فَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾ (35).

ولكننا نجد سياقاً آخر في سورة المائدة يرد فيه الإخبار بصيغة ضمير الغائب في الحديث عن بني إسرائيل، كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ**﴾ (36).

وهذا السياق تنسجم فيه الدلالة الزمنية للسياق الداخلي من خلال الإخبار عمن سبق من بني إسرائيل بصيغة ضمير الغائب "إليهم، جاءهم، أنفسهم" مع

السياق الخارجي للزمن الماضي، وبناءً على ذلك فتنصرف دلالة الفعل المضارع "يقتلون"، في الحالة هذه إلى استحضار الصورة لا غير، وليس فيه دلالة استمرار الحدث وتجدده

وممَّا سبق ذكره يمكننا الجمع بين دلالات هذه السياقات المختلفة، لنقول: إنَّ دلالة الفعل "يقتلون" تفيد استحضار صورة قتل الأجداد للأنبياء تبشيعاً لقبح فعلتهم، وذلك من سياق الإخبار عنهم بضمير الغائب، وفيه دلالة على استمرار الحدث وتجدد حصوله من الأبناء والأحفاد وذلك من سياق الخطاب، وفيه تيئيس من تحقق ذلك وحصوله في حق هذا النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يعد من بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم، فقد تم توظيف القيمة الزمنية في صياغة الفعل للحصول على مساحة تتعدد فيها الدلالات للنص وتتسع.

ففي هذا السياق حصل تحوُّل عن الفعل الماضي "كذَّبتم" إلى الفعل المضارع "تقتلون" وكان مقتضى السياق بموجب المطابقة الزمنية بين الأفعال أن يكون على النحو ﴿ ففريقاً كذبتم وفريقاً قتلتم﴾، لا سيما أنَّه يتحدث عن أمر حدث في الزمن الماضي، من تكذيب اليهود للأنبياء وقتلهم إياهم، لكن السياق تحوَّل عن الماضي إلى المضارع؛ لأن قتل الأنبياء أمر فظيع، فأراد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب[37].

وسياق هذه الآية يشابهه سياق آخر وهو قوله تعالى: ﴿ إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ [38]، إذ جاء الفعل المضارع "**تقدروا**" الدال على الحال مقترناً بظرف الزمان "**قبلُ**" الدال على الماضي، مِمَّا يجعل دلالة الفعل المضارع دالة على الزمن الماضي، فالفعل لا يدل على زمن الحدوث، وإنَّما يدل على زمن الإخبار، فللفعل الماضي زمانان؛ زمن حدوث ووقوع، وزمن إخبار عنه، وهو ما أشار إليه الزجاجي (ت 337هـ) بقوله: "والفعل الماضي ما

تقضى وأتى عليه زمانان، لا أقل من ذلك، زمان وجد فيه، وزمان خبر فيه عنه"[39].

ونجد أنَّ السياق القرآني قد نسب جريمة القتل إلى الأحفاد عندما خاطبهم فقال: "فلم تقتلون أنبياء الله من قبلُ"، في حين أن القتل قد حصل في الزمن الماضي من الأجداد، وذلك من بلاغة السياق القرآني، إذ أفاد الفعل "تقتلون" الاستمرارية للحدث، كما أفاد الحضور للمشهد في الأذهان، إشارة إلى أن نزعة القتل والإجرام تسري في دماء الأحفاد كما سرت في دماء الأجداد.

والأمر نفسه المرام إليه في الآية الموالية: ﴿ وأتاكم ما لم يوت أحدا من العالمين﴾[40]، ومن قوله أيضا جل شأنه: ﴿ **وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا**﴾ [41]، وقوله أيضا في فعل التلاوة بالمضارع (**يتلى**) ليبين الإيمان والوفاء.: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم**﴾ [42].

ومن أمثلة مجيء هذا التحول للدلالة على الاستمرار، قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [43].

لقد تحول السياق القرآني عن الفعل الماضي " **تَنقِمُونَ** " إلى المضارع " **آمَنَّا** " وكان يتوقع أن يرد السياق على النحو التالي: "وما تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ نُؤمنوا بالله العزيز الحميد؛ لأنه يخبر عن حدث حاضر حالي، وهو ما يحصل للفئة المؤمنة على أيدي أعدائهم، واللافت للنظر، هو مجيء الفعل المضارع "**إلا أن يؤمنوا**" وليس "**إلا أن آمنا**".

والذي يظهر أن مجيء الفعل " **تَنقِمُونَ** " بصيغة المضارع في الآية الكريمة دلَّ على أن نقمة أهل الكتاب متجددة مستمرة ضد المسلمين لا تنقطع عنهم بحال، ودلَّ التحول إلى الفعل الماضي "**آمنا**" أنَّ إيمان المسلمين حاصل متحقق، فهو في

حكم الماضي في تحققه وحصوله، فلا مطمع لأعدائهم في ارتدادهم عنه، ويبرز الانفتاح الدلالي للنص القرآني في هذا السياق، ليضيف دلالة أخرى للفعل الماضي مفادها أنَّ إيمان المسلمين ليس حادثاً، وإنَّما هو امتداد لقافلة الإيمان التي مضت في تاريخ البشرية.

من هنا يتضح أنَّ السياق هو الذي يفرض التعبير المقصود للمعنى المسوق له، فيكون كل سياق قد اختص بتركيب قصد إليه لمعنى، وهو من البلاغة بمكان؛ لأنه يقتضي موافقة الكلام لمقتضى الحال.

الهوامش

(1) ابن منظور، لسان العرب، ، دار صادر بيروت ط1، 1990م، (مادة فعل)، ج11، ص528.

(2) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي بمصر ودار الرفاعي بالرياض 1982م، ج1، ص12.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص12، ويقسم هنري فليش (Henri Fleish) الزمن إلى قسمين: تام وغير تام، حيث يرى أنَّ تصريف العربية لا يحتوي سوى زمنين، وهما ما أطلق عليهما التام "Accompli" وغير التام "Inaccompli" ثم يؤكد رأيه قائلاً: "وقد اكتفت العربية بصيغتين فعليتين متصرفتين متعارضتين، ومن أجل هذا لم يكن في العربية سوى زمنين" ينظر: هنري فليش، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، ط2، دار المشرق، بيروت – لبنان 1983م، ص136-138.

(4) سيبويه، الكتاب، ج1، ص35، وفاضل الساقي مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، القاهرة 1977م، ص 229.

(5) فاضل الساقي مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، ص 231.

(6) المرجع نفسه، ص 231.

(7) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط2، الهيأة المصرية العامة للكتاب 1979م ص 240، فاضل الساقي مصطفى، أقسام الكلام العربي، ص 235-236.

(8) فاضل الساقي مصطفى، أقسام الكلام العربي، ص 237.

(9) علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص 64.

(10) نفسه، ص 233.

(11) أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار أحياء العربي بيروت (د.ت)، ج4، ص 41.

(12) المائدة: 112.

(13) الشّيخ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج06، ص69./ وينظر: محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي، ص83.

(14) فضل حسن عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، ص448.

(15) محمد علي الصابوني، صفوت التفاسير، دار الضياء ط5، قسنطينة 1990م، ج1، ص325.

(16) المائدة: 2.

(17) المائدة: 2.

(18) المائدة: 3.

(19) المائدة: 5.

(20) المائدة: 7.

(21) المائدة: 11.

(22) المائدة: 87.

(23) المائدة: 97.

(24) المائدة: 87.

(25) أسامة البحيري، تحوُّلات البنية في البلاغة العربية، دار الحضارة، مصر، ط1، التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الأردن، ط2، 2002م ص 320.

(26) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط1، مكتبة نهضة مصر 1959م، ج2، ص 193-194.

(27) ينظر: المثل السائر، 194/2.

(28) السابق، 194/2.

(29) المائدة: 48.

(30) السيوطي، همع الهوامع، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط2، 1987م، 23/1.

(31) فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م، ص 138.

(32) الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1992م ص 206.

(33) المائدة: 31.

(34) السكاكي، مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م، ص247.

(35) المائدة: 70.

(36) المائدة: 70.

(37) ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، 1977م، ص 295/1.

(38) المائدة: 34.

(39) الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1979م، ص 87.

(40) المائدة: 20.

(41) المائدة: 6.

(42) المائدة: 1.

(43) المائدة: 52.

مصادرومراجع البحث

1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع المدني.

2- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط1، مكتبة نهضة مصر 1959م.

3- أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار أحياء العربي بيروت (د.ت).

4- أسامة البحيري، تحوُّلات البنية في البلاغة العربية، دار الحضارة، مصر، ط1،

5- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الأردن، ط2، 2002م.

6- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط2، الهيأة المصرية العامة للكتاب 1979م.

7- الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3،

1992م.
8- الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1979م.
9- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، 1977م.
10- علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 2002، السكاكي، مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م.
11- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي بمصر ودار الرفاعي بالرياض 1982م.
12- السيوطي، همع الهوامع، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط2، 1987م.
13- الشّيخ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
14- فاضل الساقي مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، القاهرة 1977م.
15- فضل حسن عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، ص.448
16- فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م.
17- محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي،
18- محمد علي الصابوني، صفوت التفاسير، دار الضياء ط5، قسنطينة 1990م.
19- ابن منظور، لسان العرب، ، دار صادر بيروت ط1، 1990م، (مادة فعل).
20- هنري فليش، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين، ط2، دار المشرق، بيروت – لبنان 1983م.